

الحلقة السابعة والتسعون

أقوال المسيح

برنامج أنوار كاشفة

نرحب بك صديقي المستمع في هذا اللقاء الجديد من برنامج أنوار كاشفة. يسرنا أن نتابع تقديم هذه السلسلة وهي تحت عنوان: «أقوال المسيح». لقد تكلم المخلص يسوع المسيح بأقوال عديدة مليئة بالحكمة، مما أثار إعجاب الناس من حوله، كما أكدت أيضاً على سلطانه الإلهي.

ما هو الفرق مستمعي بين صاحب العمل والمستخدم؟ بين المالك والمستأجر؟ هناك بالطبع فروقات عديدة لعل أهمها: أن صاحب العمل يبذل جهده ويسعى لتقدم العمل الذي يملكه، لكي يحقق المزيد والمزيد من الأرباح له. وكذلك مالك البيت يحرص على بيته ويحاول صيانتته باستمرار. وفي المقابل نجد أن المستخدم قد يؤدي عمله بكل أمانة وإخلاص لكي يرضي رب عمله، لكن إذا حصلت أية خسارة لا يُعتبر مسؤولاً عنها، فهو مجرد مُستخدم. وكذلك بالنسبة لمستأجر البيت فهو ليس مسؤولاً عن صيانتته أو الاهتمام بتحسينه.

نستطيع تطبيق هذه القاعدة بالنسبة لمالك حظيرة الخراف والأجير. ولقد تحدّث المخلص المسيح عن هذا الأمر فقال: «أنا هو الرَّاعِي الصَّالِحُ، والرَّاعِي الصَّالِحُ يَبْذُلُ نَفْسَهُ عَنِ الْخِرَافِ. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًا، الَّذِي لَيْسَتْ الْخِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الذَّنْبَ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ وَيَهْرُبُ، فَيَخْطَفُ الذَّنْبُ الْخِرَافَ وَيَبْدُدُهَا. وَالْأَجِيرُ يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ، وَلَا يُبَالِي بِالْخِرَافِ. أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي، كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ (بشارة يوحنا ١٠: ١١-١٥). سنأمل الآن بتصريح المسيح الهام هذا فابقوا معنا.

لقد قارن المخلص المسيح في هذا التصريح بينه وبين الأنبياء والمعلمين الكذبة. وكنا في اللقاء السابق قد تأملنا بقول المسيح: أنه هو باب الخراف، الذي تدخل منه الخراف الى الحظيرة. وقال عن الأنبياء والمعلمين الكذبة بأنهم سراق ولصوص وهم يريدون سرقة الخراف لكي يذبحوها ويهلكوها. والخراف تشير هنا إلى البشر. نتابع اليوم تصريح المخلص المسيح إذ أعلن أنه هو الراعي الصالح للخراف أي للبشر. وتأكيداً على ذلك أنه كراعي صالح سيبدل نفسه عن الخراف (البشر). بينما أولئك الأنبياء والمعلمون الكذبة هم مجرد عاملين بالأجرة وليسوا رعاة، لهذا لا يهتمون بخدمة الخراف أي البشر، ولا يكثرثون بمصيرهم إن هلكوا.

أجل، لقد برهن المسيح أنه هو الراعي الصالح للبشر، عندما قدّم نفسه ذبيحة على الصليب كفارة أي نيابة عن الجنس البشري. وبهذا العمل الفدائي العجيب عبّر المسيح عن محبته العظمى المضحية للبشر. وفي نفس الوقت فتح الباب واسعاً لكي يخلص كل خاطئ يأتي إليه بالتوبة والإيمان.

وفي المقابل ماذا فعل أولئك الأنبياء والمعلمون الكذبة سوى خداع البشر وتضليلهم وقيادتهم إلى الهلاك الأبدي. وهو ما قصده المسيح عندما قال: «وَأَمَّا الَّذِي هُوَ أَجِيرٌ، وَلَيْسَ رَاعِيًا، الَّذِي لَيْسَتْ الْخِرَافُ لَهُ، فَيَرَى الدُّنْبَ مُقْبِلًا وَيَتْرُكُ الْخِرَافَ وَيَهْرُبُ، فَيَخْطَفُ الدُّنْبُ الْخِرَافَ وَيُبَدِّدُهَا». وتابع المسيح قائلاً: «وَالْأَجِيرُ يَهْرُبُ لِأَنَّهُ أَجِيرٌ، وَلَا يُبَالِي بِالْخِرَافِ». هذا هو الفرق الكامل بين المخلص المسيح الراعي الصالح، وأولئك الأنبياء والمعلمين الكذبة. فهو بذل جسده عن البشر، بينما هم لا يحرصون على مصير البشر، لكنهم يخذعونهم ويضللونهم، وتكون النتيجة أنهم يذهبون بهم إلى الهلاك. ولهذا عاد المخلص المسيح ليؤكد قائلاً: «أَمَّا أَنَا فَيَا رَاعِي الصَّالِحِ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي، كَمَا أَنَّ الْآبَ يَعْرِفُنِي وَأَنَا أَعْرِفُ الْآبَ. وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ». إن المسيح يهّمه مصير البشر، ولهذا وضع نفسه من أجلهم، وهكذا أخذ لقب الراعي الصالح عن حق وجدارة.

مستمعي الكريم، لم يقف المخلص المسيح في تصريحه هنا، بل أضاف حقيقة هامة جديدة عندما أعلن لمستمعيه من التلاميذ واليهود قائلاً: «وَلِي خِرَافٌ أُخْرُ لَيْسَتْ مِنْ هَذِهِ الْحَظِيرَةِ، يَنْبَغِي أَنْ آتِي بِتِلْكَ أَيْضًا فَتَسْمَعُ صَوْتِي، وَتَكُونُ رَعِيَّةً وَاحِدَةً وَرَاعٍ وَاحِدٌ» (بشارة يوحنا ١٠: ١٦). إن هذه الحظيرة التي أشار إليها المسيح هنا هي شعب إسرائيل الذي تعامل معه الله قديماً. وعندما قال المسيح أن له خرافاً أخر ليست من هذه الحظيرة، فهو قصد أن له شعباً سيؤمن به من الشعوب الأخرى أيضاً، وعندها سيكونون جميعاً رعيّة واحدة هي كنيسته، وراعياً واحداً هو المخلص يسوع المسيح.

هذا هو شعب الله الجديد المؤلف من كل المؤمنين بالمسيح من اليهود والأمم، أي من كل الشعوب، وهو ما نسميه بكنيسة المسيح. إن كنيسة المسيح اليوم تتألف من كل الشعوب والأعراق والقوميات، ولا يوجد فرق بين شعب وآخر، ولم يعد بالتالي لليهود أية امتيازات خاصة، فالجميع واحد في المسيح يسوع. وها هو الرسول بولس من رسل المسيحية الأوائل يكتب إلى المؤمنين بالمسيح قائلاً: «لَأَنَّكُمْ جَمِيعًا أَبْنَاءُ اللَّهِ بِالْإِيمَانِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ. لَيْسَ يَهُودِيٌّ وَلَا يُونَانِيٌّ. لَيْسَ عَبْدٌ وَلَا حُرٌّ. لَيْسَ ذَكَرٌ وَأُنْثَى، لِأَنَّكُمْ جَمِيعًا وَاحِدٌ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ». ثم أضاف الرسول بولس قائلاً: «فَإِنْ كُنْتُمْ لِلْمَسِيحِ، فَانْتُمْ إِذَا نَسَلْتُمْ إِبْرَاهِيمَ، وَحَسَبَ الْمَوْعِدِ وَرَثَةٌ» (الرسالة إلى

غلاطية ٣:٢٦، ٢٨-٢٩). أي أن الإيمان بالمسيح يجعل الإنسان من نسل إبراهيم الخليل، وهكذا لم يعد النسل مقتصراً على شعب إسرائيل. وهذا كله قد تمّ بواسطة موت المسيح الكفاري على الصليب.

فعند الصليب صالح المسيح جميع البشر الخطاة مع الله الخالق القدوس، وليس هذا فحسب بل أزال الفرق الذي كان بين شعب إسرائيل وباقي الشعوب، ولم يعد بالتالي شعب إسرائيل هو شعب الله الخاص، بل أصبحت كنيسة المسيح هي شعب الله الخاص الجديد الذي فداه المسيح.

ألا ترغب مستمعي أن تكون من رعية هذا الراعي الصالح، المسيح المخلص، الذي بذل نفسه من أجلك على الصليب؟ أو لا تتوق أن تصبح من شعب الله الجديد الذي فداه المسيح؟ لم لا تؤمن الآن بهذا المخلص الفريد فتحصل على نعم الله وهباته الكثيرة، وعلى رأسها هبة الغفران وضمان الحياة الأبدية!